Comprehensive Journal of Science
Volume (11), Issue (41), (JUNE, 2026)
ISSN: 3014-6266

مجلة العلوم الشاملة
المجلد (11) ملحق العدد 41 يونيو 2026
ردمد: 3014-6266

سيمياء العنوان في رواية (الحاج) لجمعة الموفق

فاطمة المختار علي المريمي
قسم اللغة العربية – كلية التربية / جامعة الزاوية
https://orcid.org/0009-0009-0810-3307
f.abdulrahman@zu.edu.ly

The Semiotics of the Title in Jumaa Al-Muwaffaq's Novel "Al-Hajj

Fatima Al-Mukhtar Ali Al-Maryami
Department of Arabic Language – Faculty of Education / University of Zawiya

تاريخ الاستلام:2026/06/30 –تاريخ المراجعة:2026/06/18– تاريخ القبول: 2026/06/28– تاريخ للنشر : 1/8/ 2026

الملخص

يهدف البحث إلى دراسة سيمياء العنوان في رواية «الحاج» لجمعة الموفق، بوصف العنوان أولى العتبات النصية ومفتاحًا للكشف عن بنية النص ودلالاته. اعتمد البحث المنهج السيميائي في تحليل العنوان الرئيس والعناوين الفرعية، من خلال بيان مفهوم السيمياء وميدانها، والعلامة عند دي سوسير وبيرس، ثم تحديد أهمية العنوان ووظائفه التعيينية والوصفية والدلالية والإغرائية. وكشف التحليل اللغوي والتركيبي والدلالي لعنوان «الحاج» عن انتقاله من دلالته الدينية والاجتماعية المألوفة إلى دلالات السلطة والهيمنة والعنف والفساد في السياق الروائي. كما أظهرت دراسة العناوين الداخلية ارتباطها الوثيق بأحداث الرواية وشخصياتها، وإسهامها في توجيه القارئ وفك رموز النص. وخلص البحث إلى أن العناوين جاءت منسجمة مع المتن، وأسهمت في تكثيف الدلالات وإبراز مقاصد المؤلف.

الكلمات المفتاحية :السيمياء، سيمياء العنوان، العتبات النصية، رواية الحاج، العناوين الفرعية، الدلالة.

Abstract

This research examines the semiotics of the title in Jumaa Al-Muwaffaq's novel *Al-Hajj*, considering the title the first textual threshold and a key to revealing the structure and meanings of the literary text. The study adopts the semiotic approach to analyze the main title and the internal subtitles. It presents the concept and scope of semiotics, the sign according to Ferdinand de Saussure and Charles Sanders Peirce, and the identificational, descriptive, connotative, and persuasive functions of titles. The linguistic, syntactic, and semantic analysis reveals that the title *Al-Hajj* moves beyond its familiar religious and social meanings to signify authority, domination, violence, and corruption within the novel. The analysis also demonstrates the close relationship between the subtitles, the narrative events, and the characters. The research concludes that the titles are consistent with the main text and contribute to intensifying its meanings and highlighting the author's intentions.

Keywords: Semiotics, Title Semiotics, Textual Thresholds, *Al-Hajj* Novel, Subtitles, Signification.

المقدمة:

يختص البحث بدراسة سيمياء العنوان؛ لكونه أهم عتبات النص الأدبي الروائي، ومفتاحه الأول الذي يفترض على الباحثة الوقوف عنده واستنطاقه وفق المنهج السيميائي، الذي اهتم بكل ما يحيط بالنص من عناوين، بدءًا بالعنوان الرئيس في رواية «الحاج» لجمعة الموفق، وما حققه من وظائف.

وتكمن أهمية الدراسة في استنطاق العنوان، ومدى تعالقه وانسجامه مع النص؛ فأخذ العنوان منحاً الدلالات والأنساق الاجتماعية، بداية بتعريف السيمياء وميدانها ومؤسسيها، وأهمية العنوان ووظيفته، ثم قراءة العنوان الرئيسي وما يندرج تحته من عناوين فرعية استُخدمت لاستنطاق النص.

السيمياء: مفهومها وميدانها:

ظهر في النصف الأول من القرن العشرين علم يدرس كيفية اشتغال الأنساق الدلالية التي يستخدمها الإنسان؛ فكل ما يحيط بنا يشير إلى أن الحضارة قد بلغت غايتها؛ إذ إن من طبيعة العالم المتحضر أن يستخدم العلامات، بمختلف أنواعها.

لأنّ الحياة قائمة على دلالات مختزلة وإشارات تستدعي فحص أنماطها وإنتاجها لبنية أخرى، وذلك العلم هو السيمياء، حيث أرسى فرديناند دي سوسير قواعده في اللسانيات الحديثة؛ وعليه، فهو علم يستمد أصوله من عدة علوم أخرى(1).

وقد أشار دي سوسير في محاضراته إليه بأنه العلم الذي يدرس العلامات داخل الحياة الاجتماعية، هذا العلم يشكل جزءًا من علم النفس العام، ويُصطلح عليه بالسيميولوجيا(2).

وتزامن حديث دي سوسير عن تأسيس السيمياء مع حديث الأمريكي شارل سندرس بيرس إذ يرى أن «النشاط البشري بمجمله نشاط سيميائي؛ وبطبيعة الحال الكلام هو نشاط سيميائي؛ لأنه جزء من النشاط البشري». وقد أطلق على هذا العلم اسم «السيميوطيقا»؛ فبيرس يدرس الدليل اللغوي من منظور فلسفي، أما دي سوسير فيربط السيميولوجيا بوسط مجتمعي تؤدي فيه وظيفة اجتماعية.

تسعى السيميولوجيا إلى رصد الدلالات المنطقية من حيث الوظيفة والنسق اللساني؛ لأنه من أهم الأنساق التواصلية بين الإنسان وأخيه الإنسان.

إذًا، يمكن القول إن السيمياء علم يهتم بدلالات السلوك الإنساني جميعها، بدءًا بالانفعالات، مرورًا بالملامح، ووصولًا إلى ترجمة الطقوس الاجتماعية ذات النسق التواصلي؛ فالإنسان بطبعه كائن منتج للعلامة.

وعليه، فإن السيمياء هي العلم الذي يدرس كيفية اشتغال الأنساق الدلالية التي يستخدمها البشر؛ لأن الحياة قائمة على العلامة والدلالة.

وتتمثل وظيفتها في الكشف عن العلامة من حيث وجودها بوصفها بنيةً، ودلالتها على بنية أخرى.

يتألف النموذج السيميائي من ثلاثة مفاهيم:

المفهوم الأول هو العلامة؛ ووفقًا لدي سوسير، تتكون العلامة من الشكل الذي تتخذه في الواقع المادي، ويُسمى «الدال»، ومن تفسيرها الذي يُسمى «المدلول». ويجب أن تتضمن العلامة كلا العنصرين، وقد تبلورت السيمياء في كيفية رصد المعنى.

ميدانها:

من خلال ما سبق، نستنتج أن ميدان السيمياء هو العلامة؛ فهي موضوعها الرئيس ومحورها الأساسي.

وهذا يحيلنا إلى أن السيمياء هي علم العلامات، كما وصفها عبد السلام المسدي في كتابه «الأسلوب والأسلوبية»؛ فموضوعها العلامة ودلالاتها، لأنها تمثل محورها الأساسي، دراسة الأدب ليست مجرد كلمات، بل هي نظام معقد من العلامات والرموز. وقد تبلورت السيميائية في رصد تلك العلامات والكشف عن مدلولاتها.

ويُعد فرديناند دي سوسير مؤسس هذا العلم من خلال محاضراته في الألسنية العامة، إلى جانب نظيره الفيلسوف الأمريكي شارل سندرس بيرس؛ ولذلك ستدرس الباحثة العلامة عند قطبي التأسيس.

1. العلامة عند دي سوسير «السيميولوجيا» هي وحدة نفسية ذات وجهين، وهذان العنصران مرتبطان ارتباطًا وثيقًا، ويتطلب أحدهما الآخر، ويُطلق على التأليف بين التصور والصورة السمعية اسم «الدليل»[3].

فالعلامة في تصوره «لا ترتبط بشيء، بل تُصوّره بصورة سمعية، وهذه الأخيرة ليست الصوت المادي الذي هو فيزيائي صرف، بل هو الدافع النفسي لهذا الصوت المادي، أو التمثيل الذي تهبنا إياه شهادة حواسنا»[4].

إذًا تتمثل العلامة عنده في الترابط بين الدال والمدلول؛ فالدال هو الصورة السمعية، والمدلول هو الصورة الذهنية، والعلاقة بينهما اعتباطية.

فلا توصي الدوال بمدلولاتها بشكل تلقائي؛ يمكن القول إن العلامة تصور نفسي متخيل من منظور اللسان، يجمع بين الدال والمدلول في علاقة اعتباطية يقتضيها النسق الاجتماعي.

2. أما العلامة عند شارل سندرس بيرس «السيميوطيقا»، فقد نالت النصيب الأكبر من اهتمامه وانشغاله؛ لأنه كان يسعى إلى بناء نظرية سيميائية. وتستند السيميوطيقا، من منظوره، على فلسفة كاملة للوجود؛ فالإنسان هو الكائن الوحيد المنتج للعلامة، والوسائط التي يعيش فيها ذاتية وجودية.

ويدلنا ذلك على أن بيرس يتكلم من منطلق فلسفي وأفكار تجريدية بحتة، كما أنه ربط السيميوطيقا بالمنطق؛ إذ يقول: «ليس المنطق بمفهومه العام إلا اسمًا آخر للسيميوطيقا»[5].

أما من حيث تصنيفها، فقد وضع بيرس تصنيفًا ثلاثيًا أساسيًا للعلامات، بناءً على علاقتها بالموضوع الذي تمثله، وهي ثلاثة أنواع:

أ. الأيقونة:

هي علامة تمثل موضوعها من خلال المماثلة أو التشابه، سواء أكان بصريًا أم صوتيًا أم هيكليًا، مثل الصور الفوتوغرافية، والخرائط، والتماثيل، والرموز التعبيرية التي تشبه الوجوه (Emoji).

ب. المؤشر:

هو علامة تحيل إلى الموضوع بفضل وجود علاقة سببية أو تجاور في الواقع؛ فهي تدل على الشيء دون محاكاته، مثل الدخان بوصفه علامة على النار، وبصمات الأصابع، والريشة التي تشير إلى اتجاه الريح.

ت. الرمز:

هو علامة تحيل إلى الموضـوع بناءً على عُرف أو اصـطلاح اجتماعي؛ فلا توجد علاقة طبيعية بين الرمز والمشـار إليه. فمثلًا، كلمة «كلب» لا تشـبه الكلب، ومن أمثلته أيضًـا إشـارات المرور، والأعلام الوطنية، والميزان بوصفه رمزًا للعدالة، واللون الأسود رمزًا للحداد، والعلم الأبيض رمزًا للسلام.

وفيما يلي جدول يوضح الفرق بين المفاهيم:

النوع	علاقة الدال بالمدلول	المبدأ	مثال
أ. أيقونة	تشابه وتماثل	مماثلة	صورة شخصية
ب. مؤشر	علاقة واقعية	علة/ سببية	دخان يدل على النار
ج. رمز	اعتباطية	عرف/ اصطلاح	إشارات المرور

العنوان أول عتبة نصية:

العنوان هو المفتاح الأسـاسـي للنصـوص الأدبية، وأولى عتبات النص التي يمكن للباحثة من خلالها الولوج إليه ومحاولة فك شـفراته؛ فجرى به أن يُدرس ويُحلل، لأنه يتصـدر الإبداع الأدبي، ويحمل في طياته استنطاقًا وتأويلًا لنصه في إطار علاقة سيميائية. ويُعد العنوان مكونًا دالًّا على النص، وله دور كبير في بنائه.

فهو وجه النص المصغر، وحمولة مكثفة للمضامين الأساسية.

وتسعى الباحثة إلى رصد أبعاده الدلالية واستجلاء المفاهيم النصية المتراكمة في رواية «الحاج» لجمعة الموفق، التي تحمل في طياتها العديد من الدلالات والإيحاءات. وعليه، لم يكن اهتمام السيمياء بالعنوان اعتباطيًّا، بل لكونه ضرورة كتابية جعلت منه مصطلحًا إجرائيًّا يُقصد به استنطاق النص.

وتبدأ الباحثة بدراسـة أهمية العنوان، ثم وظائفه، والمسـتويين المعجمي والاصـطلاحي؛ لفهم دلالات العنوان، واستنطاق النص الأدبي، والولوج إلى كنهه؛ لرصد مدلوله ومقاربته سيميائيًّا[6].

أهمية العنوان:

تنبثق أهمية العنوان في كونه بابًا يفتح للقارئ الاطلاع على آفاق النص الروائي، ومعرفة أبعاده ورموزه ودلالاته؛ فهو يمثل البنية الصـغرى التي لا يمكن أن تنفصـل عن البنية الكبرى، ومن ثم يؤدي إلى كشـف أسـرار النص ومضامينه.

ويرى بعض النقاد أن العنوان، وما يشـير إليه من تأويلات، هو أبرز ما في النص؛ إذ يظهر متميزًا بشكله وحجمه، ومنتصبًا في مقدمة الرواية؛ لكونه أداة تعريف بها. فهو رسالة لغوية تُعرّف بهوية الرواية، وتحدد مضمونها، وتجذب القارئ إليها وتغويه[7].

إذ يستطيع القارئ من خلاله الدخول إلى النص من دون تردد؛ لأنه أهم عتبة نصية.

فلولا العناوين لتكدسـت المؤلفات مجهولة الهوية في المكتبات، كما تتجلى أهمية العنوان فيما يثيره من تساؤلات لا نجد لها إجابة إلا مع نهاية العمل[8].

فالقارئ يريد الولوج إلى العمل بغية إسقاط العنوان على نصه، وإزالة علامات الاستفهام من ذهنه.

وأصبح العنوان علمًا مستقلًّا ذا أهمية، وله أصوله وقواعده التي يقوم عليها؛ فيوازي بذلك إلى حد كبير، النص الذي يَسِمُه؛ «فإن أي قراءة استكشافية لأي فضاء لا بد أن تنطلق من العنوان»[9].

«كما أنه لم يعد زائدًا لغويًّا يمكن استئصاله من جسد النص»[10]، بل أصبح عضوًا أساسيًّا يُستشار ويُستنطق.

وظيفة العنوان:

أخذ النقاد يستنطقون البعد السيميائي في تحليل العلاقة بين العنوان والبنيات المتعلقة بمتن النص[11].

وقد اعتنى كل من جيرار جنيت وليو هوك وغيرهما بأسرار ما يُسمى اليوم علم العنونة؛ فالعنوان هو أول ما يواجه المتلقي، وتكمن أهميته في وظيفته السيادية على النص والتعريفية به، ومن هذا المنطلق حدد جيرار جنيت في كتابه «عتبات» أربع وظائف للعنوان، وهي:

1. الوظيفة التعيينية:

تتكفل هذه الوظيفة بتسمية العنوان، وتُسمى أيضًا وظيفة التسمية، وهي أكثر الوظائف شيوعًا وانتشارًا، ولا يكاد يخلو منها أي عنوان، وهي تقترب من كونها اسمًا على مسمى؛ لأنها في أصلها تحدد هوية النص، وتبدو إلزامية، ولكن من دون أن تنفصل عن الوظائف الأخرى؛ لذلك تحتل المرتبة الأولى بين الوظائف. ويستعمل بعض النقاد تسميات أخرى لهذه الوظيفة، مثل: الاستدعائية عند جيفل، والتسموية عند ميتران، والتمييزية عند غلودشاين وبومارشيه [11]. وكل هذه التسميات تصب في معنى واحد، وهو التعيين.

2. الوظيفة الوصفية:

يسعى العنوان عبر هذه الوظيفة إلى تحقيق أكبر مردودية ممكنة، وهو ما يجعلها مسؤولة عن الانتقادات الموجهة إلى العنوان من قبل النقاد، أمام التأثير الذي يمارسه عند تلقي النص بفعل خاصيته التثقيفية الموجهة إلى القارئ. ومن مميزات هذه الوظيفة حرية المرسل في أن يجعلها مختلطة أو مبهمة بحسب اختياره للعلامات الحاملة لهذه الوصفية الجزئية. ويسميها جنيت «الوصفية»؛ إذ يؤكد وظيفتها في العملية التواصلية، وأنه لا يمكن الاستغناء عنها.

3. الوظيفة الدلالية «الضمنية الإيحائية»:

تُصاحب هذه الوظيفة الوظيفةَ الوصفية، ويتحمل المؤلف بعض توجهاتها في نصه. ويقول جنيت عنها: «لا مناص منها؛ لأن العنوان، مثله مثل أي ملفوظ بعامة له طريقة في الوجود أو إن شئنا، أسلوبه، وحتى إن كان أقل بساطة، فإن الدلالة الضمنية فيه تكون أيضًا بسيطة، ولما كان من المبالغة أن نسمي وظيفته دلالة ضمنية، وهي غير مقصودة من المؤلف دائمًا، فلا شك أن الأجدر عندئذ التحدث عن قيمة ضمنية»[13].

4. الوظيفة الإغرائية:

تتمثل هذه الوظيفة في الإغراء الذي يجذب القارئ ويثير فضوله، ويزيد حماسته؛ إذ تعمل على لفت انتباهه، وتسهم في زيادة مبيعات النصوص الأدبية. وتُعد هذه الوظيفة فعالة في استمالة القراء وجذبهم إلى المحتوى أو المتن.

وهي ترنو إلى إغراء القارئ لاقتناء الكتاب.

أما جنيت، فلا يوافق هذا الرأي؛ لكونها، عنده، لا تستقل بأفضليتها عن الوظيفتين الثانية والثالثة.

وسارت الباحثة على خطى جنيت في تحديد أربع وظائف للعنوان، هي: التعيينية، والوصفية، والدلالية، والإغرائية، وتختص كل منها بميزات وخصائص.

أنواع العنوان:

إن العنوان، بوصــفه أول عتبات النص ونتاج العنونة وآليتها، يظهر في رواية «الحاج» بوصــفه جهازًا يمارس أهميته ووظائفه على نحو متكامل، من خلال الأقسام والأنواع التي يندرج تحتها.

وتتعدد الأنواع بتعدد النصوص ووظائفها، وفي نص «الحاج» نجد ما يأتي:

1. عنوان رئيس:

يكون في الواجهة، ويبرزه صاحبه لمواجهة المتلقي، فهو بمنزلة بطاقة تعريف تمنح النص هويته، وتميزه عن غيره، مثل عنوان «الحاج».

2. عنوان فرعي:

يأتي بعد العنوان الرئيس لتكملة المعنى، وغالبًا ما يكون عنوانًا لفقرات وموضـــوعات داخل النص، ويصفه العلماء بالعنوان الثانوي. ومن أمثلة ذلك ما ورد في الرواية من عناوين ثانوية، مثل:

«رجل شـــركة اللحوم»، و«الأم»، و«النذر»، و«التنصـــل من النذر»، و«البحث عن البقرة»، و«قص الروسي»، و«الطلاق». وقد شكلت هذه العناوين الفرعية السبعة، ببنيتها السردية ودلالاتها السيميائية، عناوين الفصل الأول.

أما الفصـــل الثاني، فيحوي خمســـة عناوين فرعية، هي: «طفولة الحاج»، و«المالكان»، و«وقوعه في الحب»، و«زيارة الزعيم»، و«الروسي مرة أخرى».

تكمن أهمية العناوين الفرعية في كونها مرآة تعكس كل فقرة في النص تتدرج أسفلها.

قراءة في سيمياء العنوان الرئيس:

أولًا: المستوى اللغوي والتركيبي:

يترك العنوان لدى الباحثة كثيرًا من التســاؤلات؛ لذلك لزم دراســته من الناحيتين اللغوية والتركيبية؛ لأن اللغة هي وعاء الفكر، ومنها ينبثق العنوان.

جاء في معجم المعاني[14]: «حاجّ» اســم فاعل من الفعل «حجَّ»، وجذره «ح ج ج»، وهو جذر ثلاثي يدل على القصد. ومن مشتقاته: حاجّ، ومحاجّ، وحجيج. والمؤنث: حاجّة، وجمع المؤنث: حاجّات.

والحاج هو من يحج البيت الحرام، وجمعه حجاج وحجيج. والحاج أيضًـــا نبات شـــوكي من الفصـــيلة القرنية، تدوم خضرته، وتمتد عروقه بعيدًا في الأرض.

والحاج هو من يحج البيت الحرام، وجمعه حجاج وحجيج، وقد يُفك الإدغام فيقال: حاجج.

حاجَ إليه: افتقر إليه، وحاجَّ الشخصُ: أقام الحجة والدليل لإثبات صحة أمره.

وحاجَّ الشخصَ: جادله وخاصمه.

وكلمة «الحاج» أصلها الاسم «حاجّ» في صورة المفرد المذكر، وجذرها «حجج»، وتحليلها: «الـــ + حاجّ».

وردت كلمة «الحاج» بصـيغة اسـم الفاعل المفرد المعرف مرة واحدة في القرآن الكريم، في قوله تعالى: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾[15].

الجذر: «ح ج ج».

ثانيًا: المستوى التركيبي:

أول ما يثير انتباه الباحثة في عنوان «الحاج» أن الكاتب جمعة الموفق قد التزم في عنوانه باسم فاعل من الفعل «حجَّ»، ويُطلق على من يؤدي مناسك الحج، كما يوحي بالاحترام والوقار، ولا سيما لمن غطى الشيب رأسه. وتتجلى الصورة في الشخص المؤمن المتزن الذي يؤدي الفرض الخامس؛ كما تعني اللفظة الزهد، والوقار، والهيبة، والاحترام، والتقدير، والتبجيل، وتُطلق على الأب الكبير في السن الموقر، أو على شيخ القبيلة بوصفها لقبًا اجتماعيًّا. وقد يكون الحاج إمام المسجد، وقيمة هذا اللقب تحيلنا إلى لقب ديني مشرف، مثل الحاج الشيخ الطاعن في السن، كما يُسمى قديمًا عند العرب.

والحاج، في العرف، لقب تشريفي لمن أتم فريضة الحج.

إذًا، تدل هذه اللفظة، في تركيبها، على لقب تشـــريفي تعظيمي، يوحي بالعظمة والتاريخ والهيبة والقدوة الحسنة؛ فتحيلنا بذلك إلى أبعاد دينية واجتماعية عرفية معروفة في المجتمع الليبي.

ثالثًا: المستوى الدلالي:

ينبثق تحت هذا العنوان حضور شخصية «الحاج»، وهي شخصية ذات سلطة وهيمنة اجتماعية وسياسية، تستخدم أيديولوجيتها الخاصة. وتظهر معطيات دينية في بداية عهد الحاج؛ إذ زار بيت الله الحرام، واعتمر أكثر من مرة ملتزمًا، فاستحق اللقب بجدارة، وحفظ القرآن كاملًا عن ظهر قلب في أربع سنوات. وهو ابن شـــخص ذي مكانة اجتماعية، يمتلك حظيرة أغنام، ويتلذذ برؤية الدم عند ذبحها. يقول المؤلف: «كأن ذلك ألذ وأشهى منظر رآه محمد ساكللو في حياته»[16].

ويحب القتل والتحريض عليه لكل من خالف أمره من أشـــخاص المنطقة، بدليل قول المؤلف: «تقتلون الناس بغير حق يا مجارم، فقتلوه في لحظتها»[17].

أما عند استنطاق الباحثة للعنوان، فقد انفتحت أمامها عدة دلالات سيميائية؛ فكلمة «الحاج» في وقتنا الحاضـــر، وفي مجتمعنا الليبي، تُطلق على كل شـــخص يملك المال والســـلطة والســـطوة الاجتماعية والنفوذ السياسي.

والحاج هو المتغطرس الجبار الذي يطغى على أبناء جلدته، وغالبًا ما نكون نحن من يصـــنع هؤلاء الجبابرة بخوفنا وسكوتنا وسلبيتنا.

وتحمل كلمة «الحاج» في طياتها دلالة السارق المختلس وصاحب عمليات غسيل الأموال؛ فكل هذه الأنساق الاجتماعية تحيلنا إلى هذه اللفظة.

وبذلك أدى العنوان أبعاده الوظيفية الأربعة، بدءًا بالوظيفة التعيينية التي حققت للنص اتساقه وانسجامه وتشاكله، فحظي بحضور مميز بين الأعمال الروائية. كما أكد مشروعية قراءته الوصفية؛ إذ يعمل مفتاحًا تأويليًّا تتدرج تحته مضـــامين عديدة. فالحاج في الرواية مرادف للقتل، والتنكيل، والحرق، ودفن الناس أحياء، والترويع، والترهيب، والمقابر الجماعية. وهذه حقائق لا تخفى على أهل مدينة ترهونة في الواقع المعاش؛ وهذا ما أراد الكاتب قوله في هذا العنوان الذي يختزل في طياته كل هذه الدلالات.

العنوان بوصفه بنية تواصلية:

أدى العنوان وظيفته التواصـــلية، وغطى مجموعة الوظائف المنوطة إليه، التي تعكس قوة النص؛ فهو علامة دالة تميز العمل الأدبي وتشـــير إليه، وتتمثل الإجابة عنه في النص من خلال التأثير والاتصـــال. فأول صفحة تواجه الباحثة مكتوب فيها: «في البدء»[18].

وقد جاءت هذه العبارة تمهيدًا لمكان الرواية، وهو مدينة ترهونة بكل ما فيها من صـــمود وعزة وكرم وتاريخ. يقول الراوي: «إن كنت قادمًا من جهة الغرب، فلا بد أن ترى يافطة الترحيب: ترهونة ترحب بكم، وإذا نظرت خلفك إلى اليافطة نفسها من الجهة الأخرى، وجدت: ترهونة تودعكم».[19]

فاللوحة خطاب بصـــري ونســـق دال على الكرم والجود في الترحيب، وتدمج بين الجذور التاريخية والأثرية، والموقع الجغرافي، والتنوع القبلي والعرقي في المدينة، وأشـــجار الزيتون. كما تحيلنا اليافطة إلى الهوية الليبية الأصيلة والقيم والعادات الاجتماعية في تلك المدينة.

العناوين الداخلية:

تُعد العناوين الفرعية دليلًا يدفع القارئ إلى أعماق النص؛ فهي تربط بين العناوين الفرعية وفصـــولها، وتساعد القارئ على اقتحام النص والغوص في أعماقه. وفي ذلك تشكل فضاءً موازيًا ومصاحبًا، ولكن حضورها ليس إلزاميًّا في النص كما هو حال العنوان الرئيس. ويكمن دورها في توجيه القارئ والتأثير فيه من خلال تقنيات كتابتها؛ إذ توجد ملتصقة بالنصوص، وأقرب إليها مكانيًّا من العناوين الخارجية.

وتنتقل الباحثة إلى دراســـة العناوين الداخلية المشـــكلة للرواية؛ إذ لا تختلف عن العنوان الرئيس في الحاجة إلى فك رموزها وشفراتها وإشاراتها. وتدل العناوين السبعة الأولى في رواية «الحاج» على دلالات متعددة، على النحو الآتي:

1. رجل شركة اللحوم:

يرمز هذا العنوان إلى الملكية والديكتاتورية في النظام الفاســـد الذي كان يحكم البلاد بحســـب أهوائه، ويمنح السلطة لرجل مستبد. وقد سمى الكاتب الشخص باسم الشركة؛ دليلًا على التسلط والاستبداد اللذين عانت منهما البلاد في تلك الفترة؛ فكل شـخص يسـتولي على تشـاركية تصـبح باسـمه إلى أن يتركها خاوية على عروشها. ويظهر هذا في قول الكاتب: «يقلبها النظام الحاكم حسب أهوائه»[19].

ولاحظت الباحثة وجود كثير من التناص القرآني، مثل قوله: «أفّاك أثيم»[20].

وقد ورد هذا التعبير في سورة الشعراء؛ فالأفّاك هو شديد الكذب والمفتري، والأثيم هو الفاجر في أفعاله والمرتكب للآثام الكبيرة.

2. الأم:

يأخذنا هذا العنوان إلى دلالات العطاء والحب غير المشروط، والرمز الخالد للحب، العاطفة اللامتناهية، والتوجيه، والنماء؛ فأم الحاج نذرت نذرًا ليعيش مولودها الضعيف.

3. النذر:

يحيلنا هذا العنوان إلى أبعاد دينية؛ إذ يدل على الخوف، لا سـيما خوف الأم من فقد ابنها؛ لذلك قدمت نذرًا شكرًا لله وطمعاً في رحمته، والتزامًا بالانضباط الروحي والمحبة لذلك الطفل الضئيل، الذي يزن أقل من كيلوغرام. فنذرت الأم أن تذبح بقرة زرقاء إذا تجاوز عامه الأول؛ إذ جاء في النص: «لو عاش، بذبح بقرة زرقاء»، قالت موجهة كلامها إلى الله[21].

أما التناص في قوله: «ودعت الله بلسان عربي مبين»[22]، فيوحي بأن الدعاء سيكون مستجابًا، مؤكدًا كرم الله وعطاياه. وقد أخذ الكاتب عبارة «بلسان عربي مبين» دليلًا على استمرارية نصه وثبوته، ورغبةً منه في أن يكتب لنصه الخلود بهذا التناص.

أما النذر، فيذكرنا بالقصة التي وردت في السياق القرآني، عندما نذرت امرأة عمران ما في بطنها خالصًا لخدمة بيت المقدس، في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[23].

وأوفت سعيدة بالنذر الأول: وهو حج بيت الله، بعد أن تحسنت صحة رضيعها: «تحسنت صحته بفضل حليب الكلبة والتراب، ففكرت أمه أن الوقت قد حان للإيفاء بنذرها، فحجت ذلك العام، وأخذت رضيعها معها، وتعلقت بأستار الكعبة وابنها فوق ظهرها»[24].

فدلت هذه الصورة على الخوف والورع والانضباط الروحي، وشكر الله على نعمته التي منَّ بها على سعيدة وطفلها.

4. التنصل من النذر:

يمثل العنوان علامة إغرائية تغوص في أعماق النص للبحث عن مقصديته؛ فتأخذنا قصة البقرة الزرقاء إلى قصة بقرة بني إسرائيل في سورة البقرة، حين قال تعالى: ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ﴾[25].

ذهبت سعيدة إلى الشيخ، فقال لها: «لو قلتِ صفراء لهان الأمر؛ فهذا حدث ذات مرة مع اليهود، عليهم وعليك الخزي واللعنة». ثم قال الشيخ: «لكن زرقاء، لم أسمع في حياتي بوجود بقرة زرقاء، ولا أتخيل وجودها». لم ترد؛ إذ شعرت بفظاعة نذرها[26].

وكان التنصل من النذر في قول الشيخ:

«اشتروا بقرة، واصبغوها باللون الأزرق، واذبحوها»[27].

فدل ذلك على التبرؤ من المسؤولية وعدم الالتزام. ومن أبرز دلالات التنصل: الخروج من الشيء، أي النذر، وزوال اللون؛ فيقال: تنصل الثوب، أي تغير لونه وزال. وهكذا تبرأت البقرة من لونها، وزال عنها.

5. البحث عن البقرة:

إذا تأملنا هذا العنوان، وجدناه محملًا بدلالات تحتاج إلى جهد لفك رموزه؛ إذ يشير أولًا إلى العثور على البقرة بعد البحث عنها من قبل رجل شركة اللحوم، وثانيًا إلى اتخاذ قرار السفر إلى روسيا لذبح البقرة الزرقاء عند بحر البلطيق.

ثالثًا: دلالة البقرة الزرقاء؛ فهي رمز مميز للهوية الوطنية في لاتفيا، وتتميز بكونها نوعًا نادرًا ظهر بقوة في العقود الأخيرة، بعد أن اختفى في الحقبة السوفياتية. وتوجد هذه الأبقار عند ساحل البلطيق، وتولد باللون الأبيض الذي يتحول إلى الأزرق مع مرور السنين بسبب لون البحر، كما يُشاع. وينتقل الصباغ إلى أنسجة الأبقار العضلية، وينتج منها لحم بصورة استثنائية، إلى جانب غرائزها الأمومية القوية. كما يُعد حليبها صحيًّا ومغذيًا أكثر من حليب البقرة العادية، وهناك جمعية تهتم بشأنها تأسست عام 2006م.

ودل هذا العنوان على وظائف إيحائية وإغرائية، منها غريزة البقاء، والصمود في الظروف الصعبة، والقوة، والاستقلالية، والقداسة في بعض البلدان، مثل الهند. كما يُطلق مصطلح «البقرة الزرقاء» على أكبر أنواع الظباء في آسيا، وينتشر في أنحاء شمال شبه القارة الهندية.

أما اللون الأزرق، فيرمز إلى العلو واللانهاية المعنوية، ويرتبط في الوعي الإنساني بالسماء بوصفها رمزًا للسمو والاستعداد اللامحدود، كما يعبر عن الهدوء والاتزان وضبط الانفعال والثبات، رغم تقلبات الواقع، وعن الاستقرار والاستمرارية.

6. قضية الروسي:

إن القارئ لهذا العنوان يجده اسمًا على مسمى، ويمثل بذلك النص المنبثق منه؛ فقد وُظف بطريقة وصفية، وحمل ما يتضمنه النص من دلالات عبر عملية التواصل. والروسي هنا هو من ساعد «سي على ساكللوعلي» في إيجاد البقرة، وربما يريد الكاتب إرسال علامات جزئية؛ فروسيا هي التي ساعدت الحاج بإرسال جنود الفاغنر لدعمه في حروبه الخاسرة.

7. الطلاق:

يحمل العنوان عدة دلالات؛ فهو تناص قرآني مع سورة الطلاق، ضمن جزء «قد سمع»، ويؤدي وظائف الإغراء والوصف والتسمية. وقد أراد الكاتب بذلك الاستمرارية والخلود والبقاء لعمله الأدبي. كما أخذ العنوان دلالة الطلاق وما يحمله من جور وظلم إذا جاء من جانب واحد، بغير سبب ولا علة؛ فهو الفراق والتسريح بالمعروف، كما ورد في السورة القرآنية.

أما الفصل الثاني من الرواية، وما يحويه من عتبات جانبية متمثلة في عناوين مثل: «طفولة الحاج»، و«المالكان»، و«وقوعه في الحب»، و«زيارة الزعيم»، و«الروسي مرة أخرى»؛ فإذا تأملنا هذه العناوين وجدنا أنها تحيلنا إلى وظيفتها التعيينية؛ فهي أسماء على مسمياتها، وقد وردت تسميتها من المتن تحديدًا لهوية النص، وتبدو إلزامية، وتعيينية، واستدعائية؛ وعليه، فهي تحمل طابع النص الذي تنبثق منه.

الخاتمة:

من خلال دراستي للعناوين في رواية «الحاج» لجمعة الموفق، استنتجت ما يأتي:

1. جاءت هذه العناوين معبرة عن حال صاحبها، وعن الأفكار التي يريد توصيلها إلى المتلقي.
2. اختار المؤلف عناوينه بعناية في هذه الرواية؛ لأنها تمثل أولى عتبات النص التي واجهت الباحثة في البحث، ولما ينضوي تحتها من علامات سيميائية بارزة ذات أهمية ووظائف، وقد نجح من خلالها في استنطاق نصه.
3. أدى العنوان الرئيس في رواية «الحاج» جميع وظائفه التعيينية، فحدد بذلك هوية النص؛ إذ أرسل الكاتب من خلاله جميع العلامات المبهمة التي أحالت الباحثة إلى عدة دلالات، منها دلالات إيحائية ضمنية عبرت عن أفكار المؤلف وتوجهاته، ولفتت انتباه المتلقي وأثارت حماسته.
4. برز المنهج السيميائي في جعل العنوان أولى العتبات المفضية إلى النص الروائي؛ فهو يتعالق مع ما تتضمنه رواية «الحاج» من دلالات وإيحاءات.

هوامش البحث:

1. عبد القادر رحيم: علم العنونة، دار التكوين للتأليف والترجمة، سوريا، ط1، 2010م، ص17.
2. صفاء خالدي، ومحمد السعيد بن السواقي: سيمياء العنوان في روايات أيمن العتوم «كلمة الله» أنموذجًا، الجمهورية الجزائرية، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر، 2021م، ص3-4.

3. هو العلامة.
4. فرديناند دي سوسير: محاضرات في الألسنة، ترجمة: يوسف غاردي، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر، 1986م، ص27.
5. عصام خلف كامل: الاتجاه السيميولوجي ونقد الشعر، دار فرحة للنشر والتوزيع، السودان، 2013م، ص19.
6. سعيد بنكراد: السيميائيات: مفاهيمها وتطبيقاتها، منشورات الزمن، 2003م، ص101.
7. أم كلثوم عبد الحاكم: سيميائية العنوان في الرواية العربية المعاصرة، «زخات من ذاكرة سعيد لبيب» أنموذجًا، ص18.
8. رشيد بن مالك: السيميائية السردية: دراسات تطبيقية، عمّان، الأردن، ص57.
9. الطاهر روابنية: «شعرية الدال في بنية الاستهلال في السرد العربي»، ملتقى السيمياء والنص الأدبي، معهد اللغة العربية وآدابها، عنابة، 1995م، ص141.
10. شادية شقروش: سيمياء العنوان في ديوان «مقام البوح» لعبد الله العشي، الملتقى الوطني الأول: السيمياء والنص الأدبي، بسكرة، 2000م، ص286.
11. محمد صابر العبيد: جمالية العنوان وفلسفة العنونة: قراءة في ديوان «الأيقونات والكونشيرتو»، جريدة الأسبوع الأدبي، العدد 835، دمشق، 2002م، ص4.
12. كتاب وعلماء فرنسيون.
13. بسام قطوس: سيمياء العنوان، وزارة الثقافة، عمّان، الأردن، ط1، 2001م، ص50.
14. الوظائف من كتاب جيرار جنيت: عتبات، تقديم سعيد يقطين، الدار العربية للعلوم، ط1، 2008م.
15. معجم المعاني.
16. سورة التوبة آية 18 برواية قالون عن نافع.
17. جمعة الموفق: رواية الحاج، ص 19.
18. المصدر السابق، ص2.
19. المصدر السابق، ص1.
20. المصدر السابق، ص11.
21. سورة الشعراء 221، سورة الجاثية، آية 7..
22. المصدر السابق، ص9.
23. المصدر السابق، ص.
24. سورة الشعراء، آية 192.
25. سورة آل عمران، آية 35..
26. المصدر السابق، ص7.
27. سورة البقرة، الآية 69.
28. المصدر نفسه، ص9.
29. المصدر السابق، ص9.